

كايات كليلة ودمنة

1

في خدمة الأسد

تلع : ا. عبد الحميد عبد القصود

ريشة : ا. عبد الشافي سيد

سراف : ا. حسدى مصطفى



المؤسسة العربية الجديدة

الطبع والتوزيع
مؤسسة العربية الجديدة
القاهرة - مصر

جلس الملك (بشليم) ينصت باستمتاع إلى حديث وزيره ومستشاره
 الحكيم (بديا) الفيلسوف ..
 وأخذ (بديا) يحدثه عن الصداقة والأصدقاء ، وحقوق كل صديق على
 صديقه ، وواجباته نحوه ، حتى تدوم الصداقة بينهما ..
 وكيف أن الصديق الحقيقي - إذا اخلص لصديقه يكون أصفى من
 الأخ الشقيق ، ويحق للإنسان أن ياتممه على أبق أسرار حياته ؟
 ولماذا يتعين على المرء أن يدقق في اختيار أصدقائه ، لأن الصديق
 الخير يهدي إلى طريق الحق ؟
 وكيف أن الصديق المخلص يكون كالعملة النادرة التي تزداد قيمتها
 على مر الأيام ، ولذلك لا ينبغي التفريط فيها بسهولة ؟



فلما انتهى (بيديا) الفيلسوف من كلامه نظر إليه (ديسليم)
الملك قائلاً :

- قد تحدثت فأجذت الحديث عن الصداقة والأصدقاء ..
والآن أريد منك أيها الحكيم أن تضرب لي مثلاً لصديقين
حميمين متحابين ، يوقع بينهما حاسدٌ كذوبٌ مُحتالٌ ، حتى
تتحول صداقتهما إلى سُخْنا ، وعداوةٍ وبغضاء ..
فقال (بيديا) الفيلسوف :

- إذا أوقع شخصٌ حاسدٌ كذوبٌ مُحتالٌ بينَ صديقين
حميمين متحابين ، أحالَ صداقتهما ومحبتهما إلى
عداوةٍ وبغضاء ، وأثارَ بينهما السُخْنا ، فتنقطع
صداقتهما ، ويتحول كلُّ منهما إلى عدوٍ للآخر .. وأنا
أضربُ لك مثلاً لذلك في قصةٍ ، عسى أن تكونَ فيها
العِظةُ والعبرةُ ..



مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ كَانَ لِرَجُلٍ ثَلَاثَةُ أَبْنَاءٍ ..
 كَانَ الرَّجُلُ قَدْ صَارَ شَيْخًا ، وَكَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ ..
 وَكَانَ أَبْنَاؤُهُ قَدْ بَلَغُوا سِنَ الرَّشَدِ ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
 أَحَدُهُمْ قَدْ احْتَرَفَ حِرْفَةً ، أَوْ تَعَلَّمَ صِنْعَةً يَتَكَسَّبُ مِنْهَا ،
 فَأَخَذُوا يُنْفِقُونَ مِنْ مَالِ آبِيهِمْ ، حَتَّى كَادُوا
 يُغْنُونَهُ ..

فَلَمَّا رَأَى الْآبُ أَبْنَاءَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، لَمْ
 يُعْجِبْهُ مِنْهُمْ ذَلِكَ ..

وَلِذَلِكَ جَمَعَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ :

- إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ عَاقِلٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، عَلَيْهِ أَنْ
 يَسْتَعِيَ إِلَى تَحْقِيقِ ثَلَاثَةِ أَهْدَافٍ :
 سِعَةِ فِي الرِّزْقِ ، وَمَنْزِلَةِ مُحْتَرَمَةٍ بَيْنَ
 النَّاسِ ، وَعَمَلٌ خَيْرٌ مِنْ أَجْلِ الْآخِرَةِ ..



فقال الابن الأكبر:

- صدقت يا أبي .. هذا ما يجب أن يسعى إليه كل عاقل في هذه الحياة ..

واستمر الأب قائلاً:

- ولكي يحقق المرء هذه الأهداف فإن عليه أربعة واجبات يجب أن يقوم بها: اكتساب المال بالحلال .. ثم استثمار هذا المال وحسن القيام عليه حتى ينمو .. ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة، ويقوم بحاجة الأهل والإخوان والمحتاجين، فيعود عليه نفعه في الدنيا والآخرة ..

فقال الابن الأوسط:

- هذا حق يا أبي ..





وأضاف الأب شارحاً :

- فَمَنْ لَا يَعْمَلُ لَنْ يَكُونَ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ مِنْهُ .. وَمَنْ اكْتَسَبَ الْمَالَ ، وَلَمْ يُحْسِنِ الْقِيَامَ عَلَيْهِ ضَاعَ الْمَالُ ، وَبَقِيَ صَاحِبُهُ بِلاَ مَالٍ .. وَمَنْ اكْتَسَبَ الْمَالَ وَلَمْ يَسْتَلْمِرْهُ حَتَّى يُنْفِقَهُ وَيَكْتَرَهُ ، نَفَدَ الْمَالُ حَتَّى وَلَوْ كَانَ يُنْفِقُ مِنْهُ بِحِرْصٍ وَحَذَرٍ .. وَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَمْ يُنْفِقْهُ مِنْ أَجْلِ نَفْعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، كَانَ كَالْفَقِيرِ الْمُعْدِمِ ، الَّذِي لَا مَالَ لَهُ .. فَقَالَ الْإِبْنُ الْأَصْغَرُ :

- قَدْ أَحْسَنْتَ يَا أَبِي .. يَجِبُ عَلَيَّ كُلِّ مِثْلٍ أَنْ يَبْحَثَ لِنَفْسِهِ عَنْ مِهْنَةٍ يَتَكَسَّبُ مِنْهَا رِزْقَهُ .

وقال الابن الأكبر :

- أنا سأنتقل إلى أرض (ميون) لأجرب حظي هناك ..

فوافق الأب ، ودعا له بالسَّلامَةِ والرِّزْقِ ..

تجهز الابن الأكبر للسفر ، وانطلق مع بغض اصدقائه
في مركبة يجرها ثوران ، احدهما كان يُسمى (شبرية)
والآخر كان يُسمى (بديّة) ..

ومرت المركبة في طريقها بمكان موحل ، فيه طين كثير
لزوج ، فغاصت أقدام (شبرية) في الطين وسقط فيه ..
وحاول الابن الأكبر وأصدقاؤه أن يخرجوا الثور من
الطين ، فلم يُفْلِحُوا .. ولما يتسوا من ذلك ، قال الابن
الأكبر لأحد اصدقائه :

- سنمضي نحن في طريقنا بالمركبة بثور واحد
هو (بديّة) وتبقى أنت هنا لحراسة الثور (شبرية)
حتى يجف الطين من حول أقدامه ، فنخرجه
وتلحق بنا في
(ميون) ..



وَأُطْلِقَ الْإِبْنُ الْأَكْبَرُ بِالْمَرْكَبَةِ مَعَ بَقِيَّةِ أَصْدِقَائِهِ ، بَيْنَمَا بَقِيَ
ذَلِكَ الصَّدِيقُ الَّذِي عَيَّنَهُ لِحِرَاسَةِ ثَوْرِهِ (شَيْثْرِيَّة) ..

فَلَمَّا بَاتَ الصَّدِيقُ لَيْلَتَهُ فِي حِرَاسَةِ الثَّوْرِ ، شَعَرَ بِالضَّيْقِ
وَتَبَرَّمَ مِنْ وَحْشَةِ الْمَكَانِ ، فَتَرَكَ الثَّوْرَ فِي الْوَحْلِ ،
وَأُطْلِقَ ، حَتَّى لَحِقَ بِالْإِبْنِ الْأَكْبَرِ وَأَصْدِقَائِهِ ، فَخَبَّرَهُمْ
أَنَّ الثَّوْرَ قَدْ مَاتَ ..

أَمَّا الثَّوْرُ (شَيْثْرِيَّة) فَإِنَّهُ عِنْدَمَا وَجَدَ نَفْسَهُ وَحِيدًا بِلَا
أَنْيَسٍ أَوْ رَفِيقٍ ، أَخَذَ يُجَاهِدُ مُحَاوَلًا حَتَّى اسْتَطَاعَ
أَنْ يُخَلِّصَ أَقْدَامَهُ مِنَ الطِّينِ اللَّزْجِ .. ثُمَّ انْطَلَقَ
يَبْحَثُ عَنْ طَعَامٍ ، فَوَجَدَ مَرَجًا وَاسِعًا فِيهِ عَشْبٌ
أَخْضَرٌ ، وَجَدُولٌ مَاءٍ عَذْبٍ ، فَأَخَذَ يَأْكُلُ حَتَّى شَبِعَ
ثُمَّ شَرِبَ ، حَتَّى ارْتَوَى ..



وأقام (شتربة) في المَرَج حتى سَمِنَ وأَمِنَ مِنَ الخَوْفِ ..
ثم أخذ يَخُورُ ويرْفَعُ صَوْتَهُ بالخُوار ..

وكان قَرِيبًا مِنَ المَرَجِ غابَةُ صَغِيرَةً ، فيها أَسَدٌ ضَخْمٌ عَظِيمٌ
الهِيبَةُ ، وقد التَفَتَ حَوْلَهُ السَّبَاعُ وَالدُّنَابُ وَالتُّعَالِيُّ وَالْفُهُودُ
وَالنُّمُورُ وَبَنَاتُ أَوَى وَغَيْرُهَا مِنَ الحَيَوَانَاتِ الصُّوَارِي وَالوَحُوشِ
الكَوَاسِرِ ..

وكان الأَسَدُ مَلَكًا عَلَى كُلِّ هَذِهِ الحَيَوَانَاتِ ، يَأْمُرُ وَيَنْهَى كَيْفَ
شَاءَ ، وَالجَمِيعُ يَأْتِمِرُونَ بِأَمْرِهِ وَيَطِيعُونَهُ خَوْفًا مِنْهُ ، وَيَأْتُونَهُ
بِطَعَامِهِ كُلَّ يَوْمٍ خَوْفًا مِنْهُ ..



وكان الأسدُ مقيماً في منزله ، لا يبرحُه أبداً ، ولم يكن قد رأى
نوراً قبل ذلك ، ولا سَمِعَ صَوْتَهُ ، فخاف في نفسه ، وتعجب من
هذا الصَوْتِ الغريبِ المُدَوِّي الذي سَمِعَهُ ، لكنه لم يحاول أن
يُظهِر ذلك لعن حوالة من الوحوش ، حتى لا تُحْتَقَر جهلُهُ ، ولا
تعود تهابُهُ ..

وكان من جفلة خدام الأسد وأتباعه المُخلصين
حيوانان من بنات أوى ، أحدهما هو (كليلة) والآخر
هو (دمنة) ..

كان (كليلة) و (دمنة) لا يبرحان باب الأسد ، وكان
كلُّ منهما ذا دهاء وذكاء ، وعلم وحكمة ..



فقال (بمئة) لأخيه (كليلة) :

- ألم تلاحظ يا أخي أن الأسد مقيم باستمرار
في منزله ، لا يترحله أبداً ؟ يجب أن ننصحه بالخروج
من منزله حتى يرى الدنيا ..

فقال له (كليلة) مستذكراً :

- من نكون نحن حتى نسأل هذا السؤال ، ونتحجب
فيما يجب على ملكنا أن يفعله أو لا يفعله ؟ لسنا
وزيرين ولا مستشارين مقربين من الأسد ، حتى نناقش
هذا الأمر .. ما نحن إلا خادمين طبعين ، وحارسين
يقظين بباب الملك ، نفعل فقط ما يأمرنا به ..
فقال (بمئة) :

- اعرف ذلك يا أخي ، ولكن على المرء أن يسعى
ليرتفع من منزلته الوضيعة ، إلى منزلة رفيعة ، يسر بها
الصديق ، ويكيد العدو ..



فقال (كليلة) ناصحاً :

- إن لكل إنسان منزلةً وقدراً وشأنًا ، وعليه أن يقنع بها ، لأن من نظر إلى من هو أعلى منه أثعب نفسه ، ونغص عينه ..
فقال (دمثة) :

- كم من وضع ارتفع إلى أعلى المراتب ، وكم من رفيع المقام هوى من عليائه .. المرأة يا أختي ترفع مروعته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة .. ومن لا مروة له يحط نفسه من المنزلة الرفيعة إلى المنزلة الوضيعة .. ونحن بمروعنا أحق بالمنزلة الرفيعة ..
فقال (كليلة) :

- تريد أن تتقرب من الأسد ، حتى يقلدك مناصباً رفيعة ، أو يجعلك أحد مستشاريه ؟
وقال (دمثة) :

- هذه فرصتنا ، وحبب الأضيعةا ..



فقال (كَلْبِلَةُ) مُسْتَنْكِرًا :

- كَيْفَ تَطْلَعُ فِي ذَلِكَ ، وَلَسْتَ بِصَاحِبِ سُلْطَانٍ

أَوْ مَرْكَزٍ كَبِيرٍ !!

وقال (بِمَنَّةٍ) :

- الرَّجُلُ الشَّدِيدُ القُوَى لَا يُعْجِزُهُ الحِمْلُ الثَّقِيلُ .. المَهْم

أَنْ أَكُونَ قَرِيبًا مِنَ الأَسَدِ ..

فقال (كَلْبِلَةُ) ناصحًا :

- ثَلَاثَةٌ أَمْوَرٌ لَا يَجْرُؤُ عَلَى الإِقْدَامِ عَلَيْهَا إِلَّا أهْوَجُ ،

وَلَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا قَلِيلٌ : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ، وَالثِّمَانُ الأَحْمَقُ

عَلَى الأَسْرَارِ ، وَالإِقْدَامُ عَلَى شَرْبِ السَّمِّ لِجَرَبَتِهِ ..

فقال (بِمَنَّةٍ) :

- صَدَقْتَ ، لَكِنَّ الرَّجُلَ الفَاضِلَ لَا يَجِبُ أَنْ يُرَى

إِلَّا فِي أَحَدٍ مَكَانَيْنِ : إِذَا مَعَ المُلُوكِ مُكْرَمًا ، وَإِذَا مَعَ

المُتَّقِينَ مُتَعَبِدًا لِلنَّبِيِّ ذَاكِرًا ..



وحاولَ (كَلْبِلَةُ) جاهِداً أَنْ يَرُدَّ أَخَاهُ (بِئِنَّةَ) عَنْ رَغْبَتِهِ
فِي التَّقَرُّبِ مِنَ الأَسَدِ وَمُصَادَقَتِهِ ، لَكِنْ (بِئِنَّةَ) جَعَلَ أَدْنَا مِنْ
طِينِ ، وَأَدْنَا مِنْ عَجِينِ ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى نُصْحِهِ ، وَأَنْطَلَقَ إِلَى
دَاخِلِ المَنْزِلِ لِلِقَاءِ الأَسَدِ ..

اسْتَأْذَنَ (بِئِنَّةَ) وَدَخَلَ عَلَى الأَسَدِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ
الأَسَدُ مُسْتَنْكِراً ، وَنَظَرَ إِلَى بَعْضِ جَلَسَائِهِ قَائِلاً :

- مَنْ هَذَا الشَّخْصُ ؟

فَأَجَابَهُ أَحَدُ جَلَسَائِهِ قَائِلاً :

- إِنَّهُ (بِئِنَّةَ) ابْنُ فُلَانٍ ..

فَالْتَفَتَ الأَسَدُ إِلَى (بِئِنَّةَ) قَائِلاً :

- كَيْتُ أَغْرَفُ أَبَاكَ .. أَيَّنَ أَنْتَ الآنَ ؟



فقال (دمثة) :

- أنا من خدمك المخلصين أيها الملك العظيم ، ولذلك فأنا ملازم ليالك ليل نهار ، رجاء أن تحتاج إلي في أمر خطير أو مشورة ، فأعينك فيهما برأيي ، أو أبذل لك نفسي ..

فظن الأسد أن لدى (دمثة) نصيحة أو رأيا مفيدا جاء يسير عليه به ، ولذلك التفت إلى جلسائه قائلا :

- إن العالم الحق ، ذا المروعة والمشورة والرأي غالبا ما يكون مغضورا ، لا يخرجه أحد ، لكن يندو أن منزلة (دمثة) قد أن لها الأوان ، حتى تعلق وترتفع ..

فلما أدرك (دمثة) أن الأسد قد أعجب به قال :

- هذا يزيدني إصرارا على خدمتك أيها الملك ، وثق بأنني لن أقصر في ذلك الرأي النافع والمشورة الصادقة لك ..

فقال الأسد :

- هذا ما أملة ..



وَيَبْدُو أَنْ (بِمِنَّةٍ) قَدْ رَأَى نَظْرَاتِ الْحَسَنِ فِي أَغْيُنِ الْحَاضِرِينَ ،
فَأَرَادَ أَنْ يُعْرِفَهُمْ أَنْ مَا نَالَهُ مِنْ إِخْرَامِ الْمَلِكِ لَهُ ، يَرْجِعُ إِلَى عِلْمِهِ
وَعَقْلِهِ ، وَلَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ يُعْرِفُ آيَاهُ فَقَالَ :

- إِنَّ الْمَلِكَ لَا يُقَرِّبُ النَّاسَ مَعَهُ لِمَعْرِفَةِ آبَائِهِمْ وَقُرْبِهِمْ
مَعَهُ ، لَكِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ ، وَبِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ ..

وَيَنْظُرُ إِلَى مَدَى مَا يَبْدُلُهُ لَهُ مِنْ رَأْيٍ صَائِبٍ وَمَشُورَةٍ نَافِعَةٍ .
فَلَمَّا انْتَهَى (بِمِنَّةٍ) مِنْ كَلَامِهِ ، زَادَ الْأَسَدُ فِي إِخْرَامِهِ ،
وَقُرْبَتِهِ مَعَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وَأَعْتَقَ عَلَيْهِ الْهَدَايَا ، وَأَصْبَحَ
يَسْتَشِيرُهُ فِي كُلِّ أَمْرِهِ ، وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْ مَجَالَسَتِهِ ..

وَهَكَذَا التَّحَقَّقَ (بِمِنَّةٍ) بِخِدْمَةِ الْأَسَدِ ، فَكَيْفَ سَارَتِ الْأُمُورُ
مَعَهُ ؟ وَهَلْ يُوقِفُ فِي بَدَلِ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ لِلأَسَدِ ، أَمْ أَنَّهُ
سَيَكُونُ لَهُ رَأْيٌ آخَرُ ؟

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم ، الأسد والثور

رقم الصفحة : 16

الطبعة الأولى : ٢٠٠٤ م - ١٤٢٦ هـ

